صورة القضيّة الفلسطينيّة في الأدب المهجريّ الأمريكيّ
-الرّابطة القلميّة والعصبة الأندلسية أنموذجا-

The image of the Palestinian issue in the Mahjari literature in America -The case of Pen League and Andalusian League-

صفية بوقصيبة[1]

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف-ميلة

bouksibasafia@gmail.com

تاريخ الوصول 2024/02/29 القبول 10/05/ 2024 النشر على الخط 2024/06/01

Received 29/02/2024 Accepted 10/05/2024 Published online 01/06/2024

ملخص:

تُحاول هذه الدراسة البحث عن صدى القضيّة الفلسطينيّة عند أدباء المهجر الأمريكي، خاصة أدباء الرّابطة القلميّة والعصبة الأندلسيّة، ورصد مختلف صورها ومضامينها، فقد أخذ هؤلاء الأدباء على عاتقهم الدّفاع عن القضايا الوطنيّة والقوميّة المطروحة في السّاحة السياسية آنذاك، بدافع ارتباطهم وتعلّقهم بقوميتهم وهويتهم العربيّة رغم هجرتهم بعيدا عن أوطانهم.

وبالاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي تمّ الكشف عن مضامين القضيّة الفلسطينيّة في أدب الرّابطة القلميّة لدى أبرز أدبائها إيليا أبي ماضي، ميخائيل نعيمة، والعصبة الأندلسيّة ممثّلة في الشّاعر القرويّ، لعلّ أبرز صورها: التنديد بوعد بلفور، ومحاولة فضح جرائم الاحتلال، وإبراز النّزعة القوميّة، واستنهاض الهمم بالإضافة إلى لوم وعتاب العرب على ذلّهم وهوانهم.

الكلمات المفتاحيّة: القضية الفلسطينيّة، المضامين، شعراء الأدب المهجريّ، الرابطة القلميّة، العصبة الأندلسيّة.

Abstract:

This research attempts to treat the echo of the Palestinian issue shown by the Mahjar writers in America, especially those who belong to the Pen League and the Andalusian League, and to observe its various forms and contents. These writers have taken full responsibility for defending the national and nationalist issues raised at that time in the political arena, by reason of being connected and attached to their nationalism and their Arab identity despite their emigration far from their homelands.

Through the descriptive and analytical method, the contents of the Palestinian issue expressed by the eminent writers of the Pen League; Eliah Abu Madi and Michael Naima, have been revealed. The similar contents have been concluded from the poetry of Al-Qarawi a representative of the Andalusian League. Perhaps, the most prominent images of this issue are: Denouncing Belfour declaration, trying to expose the crimes of the occupation, highlighting nationalism, arousing determination as well as reproving the Arabs for their humiliation.

Keywords: the Palestinian issue, the contents, Mahjari poets, Pen League, Andalusian League.

[1] المؤلف المراسل: **صفية بوقصيبة** البريد الالكتروني: **bouksibasafia@gmail.com**

1. مقدمة:

الشّاعر ابن بيئته يتأثّر بالأحداث التي تحصل في مجتمعه بحكم إحساسه المرهف فيتأثّر بأبسط القضايا المطروحة في السّاحة، ولا غرو أنّ القضيّة الفلسطينيّة تعدّ أبرز تلك القضايا التي تأثّر بها الأدباء، بل تفاعل معها كلُّ شخص تبنّى القيم الإنسانيّة. إذْ برزت هذه القضيّة في كتابات الأدباء العرب داخل القطر العربيّ وخارجه، وبالأخّص أدباء المهجر، الذين على الرّغم من هجرتهم إلى بلدان غربيّة مختلفة إلا أنّ تعلّقهم ببلدانهم بقي سمة بارزة لديهم، لا سيّما القضيّة الفلسطينيّة التي شكلت محور كتاباتهم، ودافعهم في ذلك كان إيمانهم بالعدالة والحريّة، ورغبة منهم في تجسيد المبادئ الإنسانيّة.

ومن المعلوم أنّ الأدباء العرب هاجروا إلى مواطن متفرّقة من العالم، إلا أنّ الدراسة ستسلّط الضّوء على المهجر الأمريكيّ الشّماليّ والجنوبي، وستركّز على بعض أدباء الرّابطة القلميّة والعصبة الأندلسيّة الذين تناولوا القضيّة الفلسطينيّة، إذْ تهدف هذه الدراسة إلى تبيان مضامين القضية الفلسطينيّة في الأدب المهجريّ الأمريكيّ لدى أدباء الرّابطة القلميّة والعصبة الأندلسيّة، والكشف عن الأهداف المرجوّة من تبنيّ القضيّة الفلسطينية بالإضافة إلى الأسباب التي دفعت هؤلاء الأدباء للدّفاع عنها.

وتبرز الإشكاليّة التي تحاول الدراسة الإجابة عنها في تحليل صورة القضيّة وأبرز المضامين التي عالجها شعراء المهجر الأمريكيّ الشّماليّ والجنوبيّ للقضيّة الفلسطينيّة، ممّا يتوجّب طرح الأسئلة الآتية: ما صورة القضية الفلسطينية في الأدب المهجريّ؟ وما أبعادها الدلالية والجمالية؟ وما أبرز المضامين التي عالجها شعراء المهجر الأمريكي بمدرستيه الرّابطة القلميّة والعصبة الأندلسيّة؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي رغبة في الكشف عن ملامح صورة القضيّة الفلسطينية، ومنهجية قُسّمت الدراسة على إثرها إلى مطلبين رئيسين الأول نظريّ تمثّل في تفكيك عناصر العنوان وإيضاح مختلف المفاهيم بصورة موجزة، أمّا المطلب الثاني فقد خُصَّ للحديث عن صورة ومضامين القضيّة الفلسطينيّة في شعر شعراء المهجر الأمريكيّ، وفي الأخير ذيلنا الدراسة بأبرز النتائج المتوصل إليها.

2. مفاهيم وحدود:

قبل الحديث عن مضامين القضيّة الفلسطينيّة وصورها المختلفة في أدب المهجر الأمريكيّ، وجب معرفة ماهية الصّورة ومفهوم أدب المهجر وأبرز خصائصه ومبادئه ومضامينه الفنيّة والأدبيّة.

2. 1 . مفهوم الصّورة:

لم يكن الاهتمام بالصّورة وليد العصر الحديث بل كان منذ العصور السّالفة سواء كان ذلك عند الغرب أو عند العرب، وبالرّجوع إلى المعاجم اللّغوية العربيّة نجد بأنّ معظمها قد أجمعت على معنى الصفة والهيئة والشّكل[1]، أمّا من النّاحية الاصطلاحيّة فقد اختلف مفهوم الصّورة من حقل معرفيّ إلى آخر؛ ففي الأدب تعني العبارة أو اللّغة المجازية التي يستخدمها الأديب للتعبير عن قضية ما، وهو ما يُعرف بالصور البيانية كالاستعارة والتشبيه والكناية وغيرها من الصّور، وقد عني بها الدّرس البلاغيّ والنّقدي العربيّ القديم، ونالت اهتماما ملحوظا من طرف الدّارسين خاصة ما نجده عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، أمّا في العصر الحديث فقد ظهر علم خاص بها اصطلح عليه اسم الصّورولوجيا أو علم الصّورة Imagologie وأساس هذا العلم التصوّر النّاتج عن

[1] للتوسّع أكثر يُنظر: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مجل4، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت، ص 473.

دراسة نمط عيش شعب ما، أو الآراء الناتجة عن تحليل قضّية من القضايا أو الموقف الذي يتصوّره الدارس من شخص معيّن فـ " الناتج النّهائي للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين أو شعب أو جنس بعينه وتتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة، وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم وعقائدهم"[1] وبربط التعريف اللّغوي بالتعريف الاصطلاحي نجد ذلك التواشج بينهما، فإذا كان مفهوم الصّورة من النّاحية اللّغوية يعني الهيئة والصفة ففي العصر الحديث ارتبطت بتمثلات ومضامين جماعة أو قضيّة ما.

2. 2 . أدب المهجر:

يُطلق هذا المصطلح على ذلك الأدب الذي صدر في المهجر باسم " أدب المهجر " وهو أدب كان على لسان مجموعة من الأدباء العرب الذين هاجروا من أوطانهم إلى الأمريكيتين الشّمالية والجنوبيّة، فأبدعوا أدبا عُرف في تاريخ الأدب العربيّ باسم" أدب المهجر"، ومن أسباب هجرة هؤلاء؛ الهروب من الأوضاع التي كان يعيشها المشرق العربيّ أو لنقل الوطن العربيّ كاملا من فتن سياسية وحروب داخلية واستعمار، وتعصب ديني بين مختلف الطوائف والأقليّات في بعض البلدان العربيّة، وبسبب الأوضاع الاقتصادية المزرية، هاجر ثلّة من العرب والشّعراء خاصة من سوريا ولبنان إلى الأمريكيتين الشّمالية والجنوبيّة رغبة منهم في تحسين أوضاعهم، ونتج عن ذلك فيما بعد أدب عربيّ عالج مختلف شؤون الحياة في المهجر.

صدر أدب المهجر عموما عن أشهر جماعتين أدبيتين سُمّيت الأولى بالرابطة القلميّة التي تأسّست سنة 1920م في الولايات المتحدة الأمريكيّة في نيويورك، ومن أبرز شعرائها ميخائيل نعيمة، إيليا أبو ماضي، رشيد أيوب، نسيب عريضة، تزّعمها الأديب جبران خليل جبران، والثانية اتخذت من العصبة الأندلسيّة اسما لها تأسّست سنة 1933م، فصدحت سان باولو البرازيلية بأشعارها، ومن أهمّ شعرائها نخصّ بالذكر: رشيد سليم الخوري الملّقب بالشّاعر القرويّ، إلياس فرحات، فوزي معلوف.

كان المذهب الرومنسيّ المرتكز الذي بنت عليه المدرستان أدبهما، فأعلتا به من قدر الإنسان، وجعلتا من التجديد شريعة لهما، خاصّة عند الرّابطة القلميّة.

3.2 .خصائص شعر أدب المهجر:

ينفرد أدب المهجر بمجموعة من الخصائص التي ميّزته بثوب ملامحي مغاير عن ملامح الأدب العربيّ السّائدة في تلك الفترة، ومن أبرز خصائصه:

-الحنين إلى الأوطان:

على الرّغم من هجرة هؤلاء الأدباء إلى بلاد أجنبيّة، إلا أنّ الجامع الذي ربط بينهم هو الإحساس بالغربة والشّوق والحنين إلى الأوطان ومهما كانت المغريات الموجودة في بلاد الغربة إلا أنّ قلوبهم ظلّت متعلّقة بأوطانهم، فالغربة قاسية تُشعر الإنسان دائما بألم الفقد والضّياع بعيدا عن الأهل والوطن والخلاّن، وهذا ما انعكس في أشعار هؤلاء من وصف بلدانهم وبثّ نجواهم إليها، فعدّوا أوطانهم أمّا ثانية وروحهم التي رفرفت راياتها في أشعارهم.

[1] عليّ عجوة، العلاقات العامة والصّورة الذهنية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د. ط، 2003م، ص9، 10.

-الجنوح إلى عناصر الطّبيعة والخيال:

يلمس القارئ لشعر أدباء المهجر تأثّرا عميقا بعناصر الطّبيعة، والتي استمدّوا منها دروسا وعبرا لتجربتهم الشّعريّة والشّعورية الصّادقة، ولهذا كان يعجّ هذا الشّعر بالصّور البيانية واستخدام الخيال بكثرة، ويُمكن أن تكون هذه الخصيصة رفضا للطابع الموضوعي الذي نادى به المذهب الكلاسيكيّ، وتأثّر به بعض الشّعراء العرب لعلّ من أبرزهم أحمد شوقي، إلا أنّ المذهب الرّومنسيّ وجد أرضا خصبة في الأدب العربيّ خاصة في المهجر لطابع الذاتية الذي تلوّن به شعرهم وتعبيرهم عن عواطفهم، والإعلاء من قدر الإنسان، لقد جعل هؤلاء الشّعراء الطبيعة منزل وحيٍ، فبثّوا فيها شكواهم وأحاسيسهم الجياشة وامتزجوا بها.

-النّزعة التأمليّة:

إنّ جنوح الشّعراء إلى عناصر الطبيعة أدّى إلى بروز النّزعة التأمليّة فـ " التأمّل هو المنهج الذي اتخذه الأدب المهجري وحلّق في آفاقه فقد أطال المهجريون النّظر في ذواتهم، وانشغلوا بما انطوى في أعماق النّفس من المخبّآت، وانشغلوا بمشاكل الوجود، وقضايا الفناء والخلود"[1]، لقد تغلغل شعراء المهجر في كلّ مظاهر الوجود، ولذلك اصطبغ شعرهم بنزعة فلسفيّة عكست اتجاههم التأمليّ ومن أبرز القصائد الشّعرية التي عكست هذه الخصيصة، قصيدة الطلاسم والمساء لإيليا أبي ماضي، وقصيدة " ابتهالات " لميخائيل نُعيمة، فُتظهر تأثّر هؤلاء الشّعراء بالفلسفة.

-النّزعة الإنسانيّة:

ولّد الإحساس المرهف للشّعراء المهجريين والشّعور المضاعف لحبّ الخير والعدالة والحرّية والمساواة التي تبنّاها هؤلاء الشّعراء بروز النّزعة الإنسانيّة في أشعارهم، في محاولة منهم لإعادة رسم عالم جديد يكون أسرة إنسانيّة واحدة، وإن تأثّر هؤلاء الشّعراء بأفكار المذهب الرّومنسي الغربيّ القائم على الإعلاء من قدر الإنسان، إلا أنّ هذه النّزعة نابعة من رغبة داخليّة لسيادة العدل وتطبيقا لمبادئهم الدينية السّمحة؛ فحاول شعراء المهجر نشر مبادئهم الإنسانيّة وتغنوا بها في أشعارهم " فقد اتسعت آداب المهجريين – مثل اتساع قلوبهم-للحبّ المطلق لكلّ الوجود، ولكلّ ما في الوجود، ولرغبة الخير المطلقة لكلّ المخلوقات"[2] حتى أنّ هذه الجماعة غيّرت مفهوم الشّعر من ارتباطه بالوزن والقافية كما أشار إلى ذلك القدماء، إلى جعله رسالة إنسانيّة تدعو إلى الخير والحب والجمال وإقرار الحقّ، فالشّعر عند ميخائيل نُعيمة في كتابه " الغربال " عبارة عن غلبة الحق على الزّيف والنّور على الظّلام[3]، وهو بذلك قد حاول وضع مفهوم جديد للشّعر، بل وحدّد وظيفة الشّاعر في كونه نبيّا وكاهنا يغوص في المجهول بحثا عن الحقيقة، ويتجلّى ذلك التجسيد للنّزعة الإنسانيّة في قصيدة " ابتهالات"، يقول[4]:

واجعل اللهمّ قلبي
واحةً تسقي القريب
والغريبْ

---

[1] صابر عبد الدايم، أدب المهجر " دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية، في الأدب المهجريّ"، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1993، ص 235.

[2] عيسى النّاعوري، أدب المهجر، دار المعارف، مصر، ط3، 1977، ص 93.

[3] يُنظر: ميخائيل نُعيمة، الغربال، نوفل، بيروت، لبنان، ط15، 1999، ص 76.

[4] ميخائيل نعيمة، هَمسُ الجُفون، نوفل، بيروت، لبنان، ط6، 2004، ص 36.

دعاء استهلّ به الشّاعر قصيدته راجيا من الله رحابة صدره وجعل قلبه مكانا يسع الجميع؛ القريب والبعيد، وهذا ما يُوضّحه التشبيه البليغ والمطابقة والمساواة بين المشبّه " قلبي" والمشبّه به "واحة "، والطّباق بين كلمتي " القريب " و " الغريب" فيوضِّح الشّاعر بلاغيا نزعته الإنسانيّة عن طريق المساواة بين القريب والغريب وجعلهما في المنزلة نفسها عنده.

فالنّزعة الإنسانيّة أسمى العواطف التي يُمكن أن يتحلّى بها المرء، فهي محبّة الإنسان لأخيه الإنسان بغضّ النّظر عن دينه أو طبقته الاجتماعيّة أو لون بشرته، هي نزعة تنادي إلى نبذ التّعصب وتدعو إلى العطاء والبذل.

-الحزن والألم:

من أبرز خصائص الشّعر المهجريّ مسحة الحزن والألم التي نلمسها في الكثير من أشعار الرّابطة القلميّة والعصبة الأندلسيّة، ربمّا يرجع ذلك إلى بعد هؤلاء الشّعراء عن أوطانهم، أو بسبب الشّعور الإنسانيّ الذي يتحلّون به، ورغبتهم في شيوع الخير والعدالة والمساواة والقيم الإنسانيّة الفاضلة في المجتمعات، إضافةً إلى ذلك التناقض الصّارخ بين ما يأملون تحقيقه في المجتمع الإنساني ككل والواقع الذي يعيشونه؛ لصعوبة تحقيق هذه القيم لغياب الضمير وسيطرة المادية، فأصابهم حزن حاد وألم عميق وصل إلى حدّ التشاؤم.

تلك كانت معظم خصائص شعر المهجر مضمونا، أمّا من ناحية الشّكل فنجد بأنّ الشّعراء قد نادوا بتجديد شكل القصيدة الخارجيّ، ودعوا إلى سهولة اللّغة وتبنوا الرّمز في أشعارهم.

3 . صور ومضامين القضيّة الفلسطينية في أدب الرّابطة القلميّة والعصبة الأندلسية:

من أبرز القضايا التي صدح بها شعراء المدرستين القضايا الوطنيّة والقوميّة؛ ولعلّ أبرز القضايا القوميّة القضية الفلسطينيّة، همّ شغل بالهم وأرّق مضجعهم رغم هجرتهم بعيدا عن أوطانهم؛ بدافع قومي وآخر إنسانيّ، وتطبيقا للمبادئ الإنسانيّة التي نادوا بها، أراد هؤلاء الشّعراء التنبيه إلى أنّ الإنسان أخو الإنسان فلم الحرب والاحتلال والقتل والدّمار الذي حلّ بالبلاد والعباد؟ تقتيل حلّ بشعب أعزل في مواجهة ترسانة عسكرية لا ترحم، وشعب لا حول له ولا قوّة.

تُعدُّ القضيّة الفلسطينيّة الجرح الدامي الذي لا زال ينزف ولم يندمل إلى يومنا هذا، لأهميّتها الإنسانيّة والدينيّة والتاريخيّة وحتّى السياسيّة؛ فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ومهد الأنبياء، وهي الأرض التي وُلد فيها المسيح عليه السّلام، والأرض التي قام منها ليُخلّص النّاس ويُكفّر عن خطاياهم حسب المعتقد المسيحي، وتوجد في القدس كنيسة المهد والقيامة التي يحجّ إليها المسيحيون من مختلف بقاع الأرض منذ القديم، وهي قضيّة شعب شُرّد وقُتّل وعاش أفظع أنواع التنكيل، أمّا من النّاحية التاريخيّة ففلسطين دولة عربيّة إسلاميّة جذورها ضاربة في التاريخ الإنسانيّ القديم، وعلى الرّغم من أنّ معظم شعراء المهجر في أمريكا الشّماليّة وأمريكا الجنوبيّة يتّبعون الديّانة المسيحيّة، إلا أنّهم نظروا إليها من منظور إسلاميّ.

لقد نادت المدرستان بالحرّية للشّعب الفلسطيني، لأنّها تُعدُّ أبسط الحقوق التي يجب أن يمتلكها الإنسان ويحصل عليها، تطبيقا لأهمّ مبدأ عُرف به المذهب الرّومنسي وهو النّزعة الإنسانيّة.

ومن هذا المنطلق كثرت مضامين القضيّة الفلسطينية في الأدب المهجريّ بمدرستيه، تظهر في عدّة أشكال وصور مختلفة لعلّ أبرزها ما يأتي:

3 . 1. التنديد بوعد بلفور:

لم يكن الاحتلال الصّهيونيّ الاستعمار الوحيد الذي حطّ رحاله في أرض فلسطين، بل كان قبله الانتداب البريطاني الذي عاث فسادا في هذه الأرض الطيبة، فقد حاول بشتى الطرق بيع الأراضي الفلسطينيّة لليهود لتأتي الطامة الكبرى لما منح وزير خارجية بريطانيا وعدا للصهيونيين بإقامة وطن قوميّ لليهود في أرض فلسطين، فها هو رشيد سليم الخوري أحد أبرز أعضاء العصبة الأندلسيّة في الجنوب الأمريكي، والملّقب بشاعر العروبة يُندّد مستنكرا جريمة وعد بلفور الذي عمّ البلاء بسببه في فلسطين الأبيّة، ولولاه لما حلّ هذا الظلم بفلسطين. يقول منددا في قصيدة طويلة بعنوان " وعد بلفور "[1]:

تَعِدُ الوعودَ وتقتضي إنجازها مهج العباد خَسِئت يا مُستعمِر
عِد ما تشاءُ بما تشاءُ فإنّما دعواه خاسرة ووعدك أخســـــر

يتوعدُّ القرويّ وزير خارجية بريطانيا بالخسارة، فمهما طال الزّمن لابّد أن يرجع الحقّ إلى أصحابه، مُتعجّبا في القصيدة نفسها من منح بريطانيا وعدا لليهود لإقامة كيان في أرض ليست أرضها.

وعدَّ كلّ شبر من البلاد العربيّة بلاده ووطنه ولذلك حزّت في نفسه فلسطين والبلاء الذي لقيتها من الاستعمار " فكلّ قطر عربيّ هو وطنه: يتغنّى به. ويُشيد بمحامده. ويستنهضه للحرّية، وهو من المؤمنين بأنّ العروبة وحدة لا تتجزّأ"[2]، لقد كان القرويّ يُؤمِن بدين العروبة والقوميّة التي كانت تلهج بها نفسه، محاولا تذكير غيره بها كلّما سنحت له الفرصة، فلم يترك محفلا ولا مناسبة دون التطرّق إلى وضع العرب قاطبة وفلسطين خاصة.

وفي قصيدة بعنوان " فلسطين " لإيليا أبي ماضي أحد أبرز شعراء الرّابطة القلميّة في الولايات المتحدة الأمريكيّة، خاطب اليهود في قوله[3]:

فقل لليهود وأشياعهـم لقد خدعتكم بروق المنى
ألا ليت بلفورَ أعطاكم بلادا له لا بلادا لنـــــا
فلندن أرحب من قدسنا وأنت أحـــبُّ إلى لندنا

فالشّاعر يطلب من "بلفور " أن يُقدّم بلاده هدية لليهود أو لندن لأنّها أرحب من القدس؛ فتمنّى من وزير خارجيّة بريطانيا أنّه لو لم يكن محسنا من بلاد غيره.

وفي سياق آخر ينبّه الشّاعر نصر سمعان وهو من أصحاب مدرسة العصبة الأندلسيّة إلى بطلان مزاعم بني صهيون في أحقيّتهم في أرض فلسطين ويُقرّعهم على اعتقادهم الخاطئ مشيرا إلى أنّ فلسطين أرض عربيّة وضع الغرب عيونه عليها يقول[4]:

يدّعي الحقَّ في تراب شعبٌ تأنفُ الأرضُ من تُراب جدوده

---

[1] رشيد سليم الخوري، ديوان الأعاصير، مطبعة مجلّة الشّرق، د. ط، د.ت، ص 71.

[2] عيسى النّاعوري، أدب المهجر، ص 481.

[3] إيليا أبو ماضي، الدّيوان، دار العودة، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت، ص 740.

[4] محمّد عبد المنعم خفّاجي، قصّة الأدب المهجريّ، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1973، ص 364.

ويتساءل إيليا أبو ماضي في حيرة من أمره عن المصائب التي حلّت بفلسطين، فبمجرد خروج القوات البريطانية منها حتى ابتليت باستعمار أشدّ وأفظع منه، يُشير إلى ذلك في قصيدة له بعنوان " أنت..."، يقول:[1]

مَهبطَ الوحي مطلعَ الأنبياء كيف أمسيت مهبط الأرزاء؟

يتضّح من خلال البيت مدى قساوة وضع فلسطين الأبيّة الأرض الطّاهرة المقدسة، فيتساءل الشّاعر في حيرة من أمره، كيف آلت فلسطين من أرض آوت الأنبياء إلى أرض نزلت بها كافّة المصائب والأحزان، في إشارة منه إلى أهميّة أرض فلسطين بالنّسبة للعرب.

وميخائيل نُعيمة يُندّد مستنكرا بالجريمة التي ارتكبتها بريطانيا في حق الفلسطينيين في قوله: " فبأيّ شرع أو دين أو حقّ يجوز للإنجليزي أو سواه أن يأتي بيهودي إلى فلسطين"[2] فبسبب هذا الوعد عانت فلسطين إلى يومنا هذا.

3 . 2. فضح جرائم الاحتلال:

عانت معظم الشّعوب العربيّة من ويلات الاستعمار؛ من قتل وتشريد وتدمير للمنازل والدّيار وإراقة الدّماء، وتجويع وفقر، ولم يُستثن الشّعب الفلسطيني من السياسية الاستعمارية المنتهجة من طرف كلّ مستعمر، بل لا زال هذا الشّعب يتجرّع الويلات إلى يومنا هذا، كلّ هذا كان تحت أنظار العالم، وتواطؤ الغرب، ولذلك كان من أبرز المضامين التي عكستها أشعار شعراء المهجر محاولة فضح جرائم ومكائد الاحتلال، التي عانى من ويلاتها الشّعب الفلسطيني؛ فإيليا أبو ماضي يتحدّث بنبرة حزينة باكية تزفر حسرات على تشريد الشّعب الفلسطيني في قوله[3]:

شرّدت أهلك النّوائبُ في الأر ض وكانوا كأنجم الجوزاء

لقد شُرِّد الشّعب الفلسطيني من أرضه حيث أُخذت أرضه غصبا عنه فطرده الاحتلال، وأمسى هذا الشّعب بلا مأوى طالبا اللّجوء في بلدان مجاورة، ولا زالت هذه المعاناة إلى اليوم، حتى أنّ الشّاعر شبّه حال الفلسطينيين بنجوم الجوزاء المتفرقة هنا وهناك، وكأنّ الاحتلال الإسرائيليّ يُعاقب الفلسطينيين لشتاتهم في العالم وذنوبهم التي اقترفتها أيديهم، لكن ما ذنب الشّعب الفلسطيني حتى يُعاقب على جرم لم يقترفه؟ ذنبه عدم تفريطه بوطنه ورغبته الملّحة في البقاء بأرضه، والرّغبة في استرجاعه مهما كان الثّمن وطال الزّمن.

فضح ميخائيل نعيمة حقيقة تبني بريطانيا لليهود، وسبب الوعد الذي قدّمته لهم، إذ تتضّح من رغبتها في السّيطرة على فلسطين لموقعها وثرواتها، وتعاقب الحضارات عليها ممّا كان لها أهميّة سياحية وتقديمها لشعب ليس له استقلال عسكري، معروف بمعاملاته التجارية فقط، فلا خوف منه لتهديد مصالحها، يُشير إلى ذلك في مقال كتبه " فلإنجلترا غاية سياسية وهي أن تبقى فلسطين المجاورة لأملاكها الآسيوية والإفريقية تحت سلطتها فعلا، إنّما في يد شعب مهما عظمت سلطته المالية تبقى قوّته الحربيّة صفرا بالنّسبة لقوّتها"[4]، لقدّ تنبّه هؤلاء الأدباء لخطر بريطانيا ورغبة اليهود في إقامة وطن لهم في فلسطين قبل سنوات من سماع العرب

---

[1] إيليا أبو ماضي، الدّيوان، ص 101.

[2] ميخائيل نُعيمة، أحاديث مع الصّحافة، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص 12.

[3] إيليا أبو ماضي، الدّيوان، ص 102.

[4] ميخائيل نُعيمة، أحاديث مع الصّحافة، ص 12.

أو الفلسطينيين أنفسهم، بفضل الهجرة واحتكاكهم بالسّاسة بسبب نشاطهم الأدبيّ والصّحفيّ، كما فضح زيف مبادئهم وتغنيهم بالقيم الإنسانيّة وحقوق الإنسان التي رفعت رايتها لكنّ هذه الرّاية رفرفت على شعوبها فقط، أمّا بقيّة الشعوب فهم في أدنى درجة، بل لا حقوق لهم، يُشير إلى ذلك مستنكرا " أ ليس من الغرابة أنّ انجلترا التي تدّعي أنّها جرّدت سيفها في هذه الحرب دفاعا عن الحرّية وحقوق الضّعيف، تُقدِم الآن فترتكب إثما كهذا الإثم بأن تبيع مليونا من الشّعب"[1] لقد عاملت هذه الشّعوب بوحشيّة.

3 . 3. بروز النّزعة القوميّة:

وغنيٌ عن البيان أنّ ما يبرز النّزعة القوميّة لهؤلاء الشّعراء هو استخدامهم الضمير " نحن " الدّال على الانتماء والمصير المشترك الذي يجمع بين العرب جميعا، يقول إيليا أبو ماضي مخاطبا اليهود منبها إياهم بأنّ فلسطين دولة عربية وموطن للعرب جميعا[2]:

وإنْ تهجروها فذلك أولى فإنّ فلسطين ملك لنا
وكانت لأجدادِنا قبلنـــا وتبقى لأحفادِنا بعدنا

ترتفع نبرة الشّاعر في البيت الأول بلغة فيها تحدٍّ صارخ لليهود بأن يخرجوا من فلسطين الأبيّة، مستخدما حرف التوكيد " إنّ " مؤكدا على أنّ فلسطين ملك لأصحابها، وفي الوقت نفسه يُشير إلى تاريخ فلسطين، فأصولها العربيّة متجذرة في التاريخ الإنسانيّ مع استمرار ملكها للعرب دائما وأبدا، وهذا ما توحي به عبارة " كانت لأجدادنا قبلنا "، " وتبقى لأحفادنا بعدنا "، وفي استخدام الضمير" نحن" الدّال على الانتماء ووحدة المصير المشترك.

3 . 4. التّهديد والوعيد:

للغّة وظائف ثانوية عدّة كما أشار إلى ذلك اللّسانيون إضافة إلى وظيفتها الأساس وهي التواصل، ومن وظائفها الثانوية الوظيفة الثورية، حيث جعلها الشّعراء وسيلة للدّفاع عن أوطانهم بهدف طرد الاستعمار، ولهذا نجد في شعرهم مفردات دالة على التحدّي أو التهديد والوعيد، فإيليا أبو ماضي يُخاطب اليهود في قوله:[3]:

فلا تحسبوها لكم موطنا فلم تكن يوما لكم موطنا
فإنّا سنجعل من أرضها لنا وطنا ولكـــــم مدفنا

يهدّد الشّاعر ويتوعد الاحتلال الصهيونيّ بلغة واضحة سهلة بجعل أرض فلسطين مقبرة تحوي جثثهم، وينهاهم عن رغبتهم في جعل فلسطين موطنا لهم، بل يُؤكّد على أنّها لم تكن في الأساس ملكا لهم، وهذا ما توحي به عبارة " لم تكن يوما " والدّلالة الزّمنية للفعل المضارع النّاقص المسبوق بحرف النّفي "لم "، فيدل على الماضي القريب من المستقبل، وفي هذا إشارة إلى عدم شرعية مطالب الاحتلال في كون فلسطين دولة إسرائيلية.

ويُواصل بثقة مؤكدّا على أنّ فلسطين ليست هبة تُقدّم، أو هديّة تُهدى في قوله[4]:

فَلَيْسَتْ فلسطين أرضا مُشاعًا فَتُعطى لمن شاء أن يسكنا

---

[1] ميخائيل نُعيمة، المرجع نفسه، ص 13.
[2] إيليا أبو ماضي، الدّيوان، ص 741.
[3] إيليا أبو ماضي، المرجع السّابق، الصّفحة نفسها.
[4] إيليا أبو ماضي، المرجع نفسه، ص 740.

فإنْ تطلبوها بِسمْرِ القنـــــا نردُّكم بطول القنـــــــــا

ففي نبرة تهديد يُخاطب اليهود بأنّهم لو أخذوا فلسطين بالقوّة سيسترجعها أصحابها بالسّلاح، مؤكّدا على أنّ ما أُخذ بالقوّة لا يُسترجع إلا بالقوّة.

وفي هذه الأشعار ما يؤكّد على أنّ من وظائف اللّغة الوظيفة الثورية وجعلها سلاحا في وجه المستعمر الغاشم.

3 . 5. استنهاض الهمم:

للشّعر دور فعّال في استنهاض الهمم وبثّ الحماس في نفس المتلقي، لما له من قدرة على التأثير في العواطف وبعث الأمل، ودفعا للتقاعس للدّفاع عن القضيّة الفلسطينية، فقد وقفت الكلمة جنبا إلى جنب مع السّلاح التزاما ودفاعا عن القضايا المصيرية، فقد حاول شعراء المهجر بمدرستيه أن يستنهضوا همم العرب لاسترجاع فلسطين، فالقرويّ يستنهض همم العرب لمجابهة عدوّ الإنسانيّة مخاطبا إياهم في قوله[1]:

يا عُربُ والثّارات قد خُلقت لكم اليوم تفتخر العلى أن تثأروا

فيبدو واضحا في هذا البيت إصرار الشّاعر على التذكير بخصلة كان يتصّف بها العرب في العصر الجاهلي، إنّها صفة الأخذ بالثّأر بل هي صفة خُلقت للعرب؛ فالشّاعر يُحاول استنهاض العرب للثّأر من اليهود الظالمين الطّغاة الذين عاثوا فسادا في أرض فلسطين، فبالثأر سينال العرب المرتبة العليا عن طريق رفع لواء النّصر فيرفرف عاليا في الأجواء، ورغبة في استرداد الكرامة المسلوبة.

وأبو الفضل الوليد – من شعراء الجنوب الأمريكي استقرّ بالبرازيل– شُغِل بالقضايا العربيّة وهو في المهجر، يقول باثّا الحماس في نفوس العرب لمواجهة اليهود في قصيدة بعنوان " المقدسيّة"[2]:

بالله أيّتها الأمّ العـــروب خُذي بالثّأر شعبا لنصر البطل عاداك

وطّهري القدس من رجس ودنس وأصّلتي السّيف سفّاك لسـفّاك

فالشّاعر يُخاطب العرب جميعا باسم العروبة أن يثأروا لفلسطين واسترجاعها وتطهير مقدّساتها من رجس اليهود.

وإيليا أبو ماضي يرغب في نهضة العرب في قوله[3]:

نَهْضَةً تكشف المذلّة عنّا فلقد طال نومنا في الشّقاء

فالشّاعر يستنهض الهمم ويبثُّ الحماس في نفوس العرب جميعا، رغبة في النّهوض والتغلّب على اليهود والغرب جميعا.

3 . 6. اللّوم والعتاب:

بسبب الأوضاع التي آلت إليها فلسطين، حمّل هؤلاء الشّعراء العرب جميعا مسؤولية هذا الوضع الذي آلت إليه فلسطين بسبب تقاعسهم وذلّهم، وعدم الالتفاف حول القضيّة وتبنيها كما يجب، ولهذا نجد لوم وعتاب الشّعراء المهجريين العرب على موقفهم اتجاه القضيّة، ولم يقتصر هذا اللّوم والعتاب على العرب بل طال الفلسطينيين أيضا، فميخائيل نعيمة لما بلغه رغبة الإنجليز في منح اليهود وطنا في فلسطين قبل أن يصدر وعد بلفور المشؤوم، تساءل في حيرة عن موقف الفلسطينيين من هذه الشائعات "

[1] رشيد سليم الخوري، ديوان الأعاصير، ص 74.

[2] جورج غريب، أبو الفضل الوليد الياس عبد الله طعمة شاعر الحمراء، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت، ص 58.

[3] إيليا أبو ماضي، الدّيوان، ص 739.

أسأل نفسي: ولماذا؟ نلوم انجلترا إذا شاءت أن تبيع فلسطين وهي للآن لم تسمع كلمة شكوى أو تذمّر من الشّعب الفلسطينيّ الذي يدعو فلسطين وطنه وبيته"[1] تساؤل طرحه الكاتب في نهاية أحد مقالاته، لكن ربّما هو تساؤل يوضّح اتهام الشعب الفلسطيني بذلّه وهوانه ورضاه ببيع فلسطين فأعقبه وعد بلفور، وإن كنّا سُنجيب الكاتب عن تساؤله الذي يعكس تناسيه لوضع معظم البلدان العربيّة في تلك الفترة التاريخيّة حيث تجرّعت مرارة الاحتلال، وربّما تناسى وضع فلسطين أيضا فقد كانت تحت الانتداب البريطاني ولم يكن لها حول ولا قوّة.

4. خاتمة:

انطلاقا ممّا سبق يتضّح تأثّر شعراء المهجر بالقضيّة الفلسطينيّة رغم هجرتهم وبعدهم عن أوطانهم، وقد تعلّق بها هؤلاء الشّعراء بسبب نزعتهم القوميّة، وتبنّي القيم الإنسانيّة الفاضلة كالعدالة والحرّية والمساواة، ولذا كان من المنصف أن يُدافعوا عن فلسطين والمطالبة بأبسط الحقوق الإنسانيّة للشّعب الفلسطيني، كما تعدّدت صور ومضامين القضية الفلسطينية في شعر هؤلاء، وعليه فمن أبرز النتائج التي خَلُصت إليها الدراسة ما يأتي:

– أدب المهجر أدب عربيّ كتبه أصحابه في المهجر الأمريكيّ بشقيّه الشّمالي والجنوبي، الرّابطة القلميّة في الشّمال، والعصبة الأندلسيّة في الجنوب، وقد فرّ هؤلاء إلى الغربة هربا من الأوضاع السياسية والطائفيّة، والاجتماعيّة رغبة في تحسين أوضاعهم إلا أنّهم ارتبطوا بقضايا أوطانهم وأمّتهم خاصة القضيّة الفلسطينيّة.

– أبرزت الدراسة أهميّة القضيّة الفلسطينية لعدة عوامل أبرزها النّاحية الدينيّة، التاريخية، وحتى الإنسانيّة.

– شغلت القضيةّ الفلسطينية الشّعراء والأدباء داخل الوطن العربيّ وخارجه، ومن الذين عنوا بها شعراء المهجر الأمريكي بشقيّه الشّمالي والجنوبي ممثلا خاصة في مدرستين؛ مدرسة الرّابطة القلميّة والعصبة الأندلسيّة.

– يعكس شعر أدب المهجر في القضيّة الفلسطينيّة مضامين كثيرة، لعلّ أبرزها: التنديد بوعد بلفور، ولوم وعتاب العرب على ذلّهم وهوانهم، بروز النّزعة القوميّة، ومحاولة فضح جرائم الاحتلال الذي عاث فسادا في فلسطين، رغم ذلك سادت في شعر القضيّة الفلسطينيّة نبرة استنهاض الهمم، وبث الحماس، وروح الانتماء والمصير المشترك في نفوس الفلسطينيين والعرب لاسترجاع فلسطين وتحريرها من قبضة الاحتلال، بلغة توحي بالتحدّي والصّمود والتهديد والوعيد.

[1] ميخائيل نُعيمة، أحاديث مع الصّحافة، ص 13.

5. قائمة المراجع:

1- إيليا أبو ماضي، الدّيوان، دار العودة، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت.

2-جمال الدّين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مجل4، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت.

3- جورج غريب، أبو الفضل الوليد الياس عبد الله طعمة شاعر الحمراء، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت.

4- رشيد سليم الخوري، ديوان الأعاصير، مطبعة مجلّة الشّرق، د. ط، د.ت.

5- صابر عبد الدّايم، أدب المهجر " دراسة تأصيليّة تحليليّة لأبعاد التجربة التأملية، في الأدب المهجري "، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1993.

6- عليّ عجوة، العلاقات العامة والصّورة الذهنيّة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د. ط، 2003.

7- عيسى النّاعوري، أدب المهجر، دار المعارف، مصر، ط3، 1977.

8- محمّد عبد المنعم خفّاجي، قصّة الأدب المهجريّ، دار الكتب اللّبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1989.

9- ميخائيل نُعيمة، أحاديث مع الصّحافة، مؤسّسة نوفل، بيروت، لبنان، ط2، 1989.

10- ميخائيل نُعيمة، الغربال، نوفل، بيروت، لبنان، ط15، 1999.

11- ميخائيل نُعيمة، هَمسُ الجُفون، نوفل، بيروت، لبنان، ط6، 2004.